حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

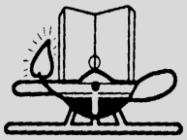

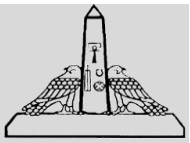

الرقمية وتحولات السياق والشفرة

هاني جازم مقبل ثابت*

باحث دكتوراه بكلية الآداب.. جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها

المستخلص

تتناول هذه الدراسة التحولات التي أحدثها المد الرقمي في عنصري الاتصال المعروفين بالسياق والشفرة إذ أدى الحضور الرقمي لاسيما بعد شيوع الإنترنيت إلى سقوط المناهج والرؤى السابقة، وبعد ظهور الأدب الرقمي

استخدمت الدراسة عدة آليات عابرة منها: آليات التحليل والمقارنة والوصف والتتبع التاريخي، مع النظر في عدد من النصوص الرقمية المنشورة على الشبكة. وقد خلصت إلى نتائج منها عدم مطابقة المفاهيم المتشظية وغير المستقرة وسريعة النشوء والزوال في العصر الرقمي لمفهومي السياق والشفرة الكتابيين قبل مجئ الأدب والفكر الرقمي حيث كانت لغة النصوص محصورة في الشكل المكتوب وهو مالم يعد له وجود مع الرقمية الشبكية بعد أن أصبحت اللغة لا تشكل أكثر من عشرين في المئة من النصوص مع حضور عناصر ومكونات جديدة منافسة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٨.

الرقمية وتحولات السياق والشفرة (الكــود):

توطئـــة:

من البديهي الإشارة إلى أن قضايا الإبلاغ والتواصل والاتصال ليست وليدة حقبة الحداثة ومابعدها، ولا عصر التنوير والحداثة المبكـرة، وليست (حتى) ابنة شرعية أو غير شرعية لبعد ما بعد الحداثة(post post modernism) أو للرقمية ضمنها بشكل خاص وحصري أو تراتبي، فاللفظ الإنساني الأول كان لأجل إيصال معنى أو إحساس للآخر، ومن هنا كانت اللغة وستظل إشارية وإبلاغية.كما أن البلاغة كعلم مستقل قامت على الإيصال والإبلاغ والإرشادية والتعليمية في كثير من الأحيان، وتمكن معرفة ذلك من مجرد التامل في كلمة بلاغة مجردة من سياقاتها وفعالياتها التأطيرية والتمثيلية، كما أن التواصل المعاصر ـ حسب روجيي بوتيي ـ امتداد للبلاغة مع اتخاذه مسافة واضحة عنها، سواء على مستوى الأسس أو على مستوى الأفعـال التي يتم القيام بها باسمه"٢ ومن هنا ينبغي الإقرار " بأن للفكر الاتصالي آثاراً متغيرة حسب الوضعيات الاجتماعية والسياسية والثقافية، سواء داخل الأوساط العلمية والأكاديمية أو الأوساط المهنية المكلفة بالاستشارة أو الخبرة أو عند الوسطاء ٣"، وفي النموذج السيبرنطيقي يقدم أبراهام مولر حوالي الأربعينيات من القرن العشرين ما أسماه بالخطاطة المعيارية للاتصال " من أجل الإلمام بكثرة المظاهر والظواهر التي تخلقها الوسائط الجماهيرية ووسائل الاتصال عن بعد عبر الفضاء أو الزمان...فجميع الوضعيات الواقعية ستؤل إلى مجموعة من الخطاطات الأساس بحيث يشكـل الكل شبكات للاتصال تدرس في مجال قياس العلاقات الاجتماعية... إذن فنظرية الاتصال هي في ماهيتها نظرية بنيوية..٤ ".

ويرى رومان جاكوبسون ـ باعتباره مؤسس البنائية اللغوية الحديثة ـ " أن كل حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر مرتبطـة بها هي ؛ المرسل والمتلقي ومحتوى الرسالة "الكـود " أو الشفرة المستعملة فيه، أما علاقة هذه العناصر بعضها ببعض فهي متنوعة متغيرة، فقد يحدث أحياناً أن تعمل الوظائف المختلفة لها بشكلٍ منعزل... لكنها تنتظم في مراتب ٥ فالمرسل يبعث برسالة إلى المرسل إليه، ولكي تعمل هذه الرسالة عملها لابد لها من سياق تندمج في إطاره، كما أنه لابد من افتراض " الشفرة" التي يحل المرسل إليه الرسالة على أساسها، وكذلك لانلبث عند التحليل التفصيلي أن نتبين ضرورة الإشارة إلى محـور الاتصال ؛ أي إلى القناة المادية للتوصيل سواء كانت السمع أو البصر في القراءة، كما تنبغي الإشارة إلى الرابط النفسي بين الطرفين الذي يسمح بإقامة الاتصال، وبهذا فإن العوامـل المتشابكة التي تدخل في التوصيل اللغوي يمكن وضعها في النموذج التالي: السياق

المرســـل ـــــــ الرسالة ـــــــــ المرسل إليه.

الاتصال.

الكـود أو قواعـــد الشفرة .٦

ورغم شعرية جاكوبسون وانطلاقة في عمله ونشاطه الشكلي ثم البنائي من تحليل الشعر بالذات كون " موضوع البحث الخاص بالشعر هو على وجه الدقة دراسة اللغة من وجهة النظر الخاصة بوظيفتها الأساسية الغالبة، وهي الإلحاح على تحليل الرسالة في ذاتها، **(رغم هذا إلا أن ٧)**... هذه الوظيفة لاتقتصر على الشعر بل هناك فارق في الرتبة فحسب، فهي هنا منظمة لماعداها وليست تابعة لغيرها"٨. إن الاتصال هو الموضوع الأساسي للحياة الإنسانية وهو وسيلتها لتحقيق إنسانيتها في آن، ولذلك بحث دراسون كثر من المهتمين بالنصوص الأدبية أو من خـارج دائرة الأدب، لاسيمـا من المهتمين من هؤلاء

بالدراسات الاتصالية والوثائقية، بحثوا عنـاصر الاتصال (في شكلها الياكبسوني السداسي في الأغلب) وبمجئ الرقمية بموجاتها العـاصفة، بعد الحرب العالمية، اتجهت دراسات عدة إلى دراسة تأثيرات هذا المد على النصوص عامة وعلى النص الأدبي بشكـل خاص، وذلك ــ في معظم الحـالات ــ من خلال دراسة التحـول الذي لحق بعناصر الاتصال الأدبي الستة المعـروفة. غير أن هذه الدراسات ركزت على دراسات تحولات عنصر الوسيط بشكل أساسي في البداية، ومع مارشال ما كلوهـان بالذات، إذ أن الوسيط حسبه ــ ما كلـوهان ــ هو الرسالة. ثم تحول التركيز على تحولات المتلقي(المرسل إليه) فالنص(الرسالة)، فالكاتب(المرسل)، ولم تلتفت المدارس النقدية إلى تحولات السياق والشفرة، إلا ما كان من بعض الإشارات داخل تحولات العناصر الأربعة الأخرى؛ ومن هنا اختارت هذه الدراسة التركيز على مـا أحدثت الرقمية من تحولات في عنصري السياق والرسالة ولاسيمـا في المتون النقدية بصفتها نصوصـاً أيضـاً مع التسليم بما قامت به الرقمية من نسف الفروق بين النصوص الإبداعية والنقدية بشكل نهـائي وحاسم، وهو نسف ولد نظريًا مع رؤى ما بعد البنيوية، ومـا بعد الحداثة نظـريًا، ووجد فعاليته وتطبيقاته وكيانه العملي المتشظي مع النص التشعبي (لغة الأدب الرقمـي).

قبل البحث فيما أحدثته الرقمية من تحـول لمفهومي السياق والشفرة لا بـد من تعريف بسيط بالمـد الرقمـي، لاسيمـا في شكـله النصي، انطلاقًـا من الشكل الأدبي لهذه الفعاليات الإنسانية الجديدة، أي الأدب الرقمـي، وقد "وُلدت فكرة النص التشعبي في ذهن فانيفار بوش خلال الحرب العالمية الثانية... رأى أنه يتعين على هذه الأداة أن تساعد الباحثين على تنظيم المعلومات واسترجاعها، كما رأى أن أدوات التخزين والأرشفة في وقته كانت قد صارت غير كافية مقارنة مع ما كان يُنشر ويُبلَغُ في كل يوم... أصبحت كمية المعلومات أكبر من أن تعالجَ على نحو فعال. بالإضافة إلى ذلك، كان التخصص الشديد للعلوم قد صار عائقا أمام التداخل المعرفي الضروري للعلم والتقنية... (وقد تعددتْ الإفادات المعرفية والتطبيقية من النص التشعبي ليُحدث بعـد ذلك*) ثورة حقيقية في الأدب. العمـل التشعبي مؤقت، وسريع الزوال، ومتعدد المعـاني، ومشتت،وخصـوصي...٩ ".

" وُلد الأدب باستخدام الحاسوب حوالي عام ١٩٥٩ من خلال المحاولات الأولى لتيو شوتز في ألمانيا، ثم ما لبث أن عرف نموا يعكسُ تطور تصورات مجتمع وانتقاله نحو مجتمع المعلومات، وذلك ليس لأن هذا الأدب يستنسخ الأنماط السائدة، بل لأنه يقدم نفسه باعتباره تأملا في هذا التطور..١٠ " ، وقد مر هذا النوع من الأدب بمراحـل ثلاث: الأولى مابين ١٩٥٩ إلى ١٩٨٠ وفي هذه المرحلة كان الإنتاج الأدبي الرقمي يظهر بعد ذلك ورقيًـا (لم تكن الشاشة ظهرت بعـد) ويمكـن تسمية هذا الأدب (توصيفه) بالأدب الإليكتروني الورقي. وتمتد الثانية بين ١٩٨٠م حتى عام ١٩٩٣، ويمكن نعت الأدب المتصل بالحاسوب في هذه المرحلة بالإدب الإليكتروني (يستخدم الشاشة ولكنه لا يتصل بالإنترنيت)، أما المرحلة الثالثة فهي مـابعد ١٩٩٥، بعد شيوع الإنترنيت وهي مرحلة مستمرة إلى اليوم وهي المرحلة التي أتاحت أدبـاً رقميـاً حقيقيـاً. واعتبارية هذه المرحلة الأخيرة (مرحلة الأدب الرقمي الفعلية) لا يعني أن تحولات النص الأدبي بدأت معها بل إن موجات التحول بدأت مع الصيغة الأولـى للنص التشعبي الرقمـي.

الرقمية وتحـــولات السياق والشفرة:

يعد السياق والشفرة من أهم عناصر النظرية الاتصالية الحديثة، وهما عنصران من ستة عناصر يقوم عليهمـا الاتصال في مخطط رومان ياكوبسون المعروف وهما عنصران أو مبداءان أو فكرتان أو مفهومان مرتبطـان ببعضهما منذ البلاغات: البابلية (التي وصلتنا نصوصـًا إبداعية لا تنظيرية) والمصرية، واليونانية ومابعدها مرورًا

بالبلاغة العربية فنصوص العصر الوسيط ثم عصر النهضة وعصر التنوير الأوروبي حتى الحداثة ومابعدها ومـابعد بعد الحداثة، لكن هاتين الفكرتين النصيتين والبلاغيتين النقديتين في وجودهما داخـل التراث الإنساني البلاغي والفلسفي حضرتا مجزءتين داخل مباحث مختلفة رغم ما ارتبطت به من مفاهيم الاتصال وإيصال المعنى أو البيان والتبيين بمصطلح الجاحظ ٢٥٥ هـ، وتمثل السياق ـ خصوصـًا ـ في البلاغة العربية تأثرًا باليونانية في المقولة العربية التراثية الشهيرة (لكـل مقام مقـال)، المقولة التي دارت حولها وبها البلاغة العربية فنجد نصـًا رائدًا كـ صحيفة بشر بن المعتمر التي عول عليها التراث العربي عمومًا بشكـل كامل في هذا الباب تكاد تدور حول إيصال المعنى وسياقـاته، رغم أن تناول البلاغة العربية يكاد يقتصر على البعد اللغوي ومبادئ العربية في تشكيل النصوص وهي كذلك في علم وفقه اللغة العربيين معـًا، فهي الفيصل في التمييز بين الكلمات والعبارات والجمل، من ذلك التمييز بين المترادفات وبين كلمتي المشترك اللفظـي في الدراسات اللغوية على سبيل المثال لاالحصر، وكذلك معرفة التورية والتفريق بين معنيي كلمتى الجناس التام في البلاغة العربية، وفي العصر الوسيط تحديدًا مع انتشار وهيمنة المحسنات البديعية على كتاب النصوص، والباحثين في هذه النصوص من العلماء والشراح والكتاب وأصحاب الحواشي وحواشيها وحواشي الحواشي، ومؤرخي الأدب.وقبلهم في العصر العباسي كتب ابن المعتز٢٩٦ هـ كتابه المعروف بالبديع وهو كتاب فيه جملة من الإلماحات الذكية للسياق واستعمالاته بشكل قريب نسبيًا إلى مفهـوم السياق في القرن العشرين ؛ لأن كتاب ابن المعتز(ومن نحى نحوه) لم يقع فيما وقع فيه البلاغيون المتأخرون، أو بالأحرى البديعيون من التقسيم والتفصيل المفسدين لنصاعة الفكرة والمبدأ وحرية حركتهما في فضاءات النصوص ومتونها المكتوبة ـ المرقومة ـ ــ المدونة.

والمقصود بالسياق ـ حسب الدكتور تمّـام حسان ـ:" (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص). والثانية: توالى الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف) ١١وقد ظلت نظرية السياق أو المقامية، على أهميتها، مبعثرة في الدراسات النقدية واللغوية حتى لمّـها فيرث فيما قدمه وعرف بـنظرية السياق التي أصبحت لاحقًا أساسًا للمدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها فيرث في لندن محاولًا إثبات أن" المعنى وظيفة السياق١٢"فاشتهرت مدرسة لندن " بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة١٣ "

وقد "تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى، كالنظرية الإشارية التي قامت على يد كل من " أوجدن " و " ريتشاردز "، اللذين ظهرت أفكارهما في كتابهما The Meaning of Meaning، والنظرية التصورية أو العقلية للفيلسوف " جون لوك"، والنظرية السلوكية التي يُعدّ (بلـومفيلـد) المسئول عن تقديمها إلى علم اللغة..(حيث*) **لفت بلومفيلد الانتباه إلى أهمية الموقف والاستجابة التي تستدعى لدى السامع في تحديد معنى الصيغة اللغوية· وتناول المتكلم و السامع بالتحليل**، فجعل الكلام بديلا من استجابة عضوية لمثيرٍ معين·.١٤"

ونظرية السياق كما يؤكد ستيفن أولمـان " إذا طبقت بحكمة - تمثل حجر الأساس فى علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة فى هذا الشأن. فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي. فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعد ضرورية

في تفسير المشترك اللفظي[٢٥]... إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل - لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب - بل و القطعة كلها والكتاب كله١٥ وهو سياق النص.

اهتم فيرث ١٩٥٧ بالسياقين اللغوي وغير اللغوي " سياق الموقف"، وقد أخذ هذا المصطلح الأخير (سياق الموقف) من عالم الاجتماع مالينوفسكي الذي استخدم مصطلح سياق الحال (المجريات، سياق الموقف) ليعبر عن الموقف أو المحيط الذي ينتج فيه النص١٦، ولسياق الموقف عند هاليداي ورقية حسن ثلاثة عناصر تسهم مجتمعة في تفسير النص هي: فعل الخطاب، أدوار الخطـاب، ولغة الخطـاب١٧". إن عناصر سياق الحال عند فيرث جزء من أدوات عالم اللغة، واقترح الاعتناء في هذا السياق بثلاثة عناصر هي": ١- ـ الملامح الوثيقة بالمشتركين، كالأشخاص، والخصائص الذاتية المميزة للحدث الكلامي أو غير الكلامي لهؤلاء المشتركين. ٢ – الأشياء ذات الصلة بالموضوع والتي تفيد في فهمه. ٣-تأثيرات الحدث الكلامي١٨ ". ويتكون السياق اللغوي عند تمام حسان وكمال بشر ومحمود السعران (بوصفهم من أهم علماء اللغة العرب)، بتأثير من أستاذهم فيرث، من ثلاثة عناصر هــي: أولا: الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك. ثانيا: طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب. ثالثا: طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، و ظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية (أو الوقف)...١٩"

" ويقول د. محمد على الخولي: "سياق الموقف: السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة "فعناصر هذا المقام عديدة:

أولها: المتكلم نفسه: هل هو ذكر أم أنثى؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ وما هو جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانه الاجتماعي إلى آخر هذه الصفات التي تميزه عن غيره. ومنها: المستمع، الذي ينطبق عليه كل ما سبق، و يشمل إضافة إلى ذلك علاقته بالمتكلم من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة السطحية أو عدم المعرفة أو اللامبالاة أو العداوة، أو المركز الاجتماعي أو المالي أو السياسي ... إلخ. ومنها: موضوع الكلام، وفى أي جو يقال وفى أي مكان وأي زمان؟ وكيف يقال، وما الداعي لقوله، وغير ذلك من العناصر الكثيرة جدا التي يؤثر كل منها تأثيرا مباشرا على كيفية قول الكلام وعلى تركيبه وعلى معانيه وعلى الغرض من قوله. ومنها: أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك... إلخ...٢٠ "

وينظـر "ديبوجراند" و"دريسلر" إلى السياق من خلال " الموقفية " كمبدأ تأسيسي من المبادئ السبعة للنصية، وهو مبدأ أشمل في النظر إلى السياق باعتباره سياقًا ديناميكيًا، قائما على التأثير والتأثر إذ يمثل مصطلح الموقفية عندهما " تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما سواء كان موقفا حاضرا أم قابلًا للاسترجاع، ونادرا ما تتحق تأثيرات مقام سياقي معين بدون حدوث التوسط أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي٢١، وهما في حديثهماعن الموقفية يفرقان بين آليتين يمكن استخدامهما في هذا المقام: آلية "رصد الموقف" وآلية "إدارة الموقف"، وقد تستعمل آلية الرصد محل الإدارة أو بمعنى آخر قد يوهم كاتب النص المتلقي بأنه مجرد راصد للموقف في الحين الذي يدير فيه الموقف لرفع درجة الإعلامية "٢٢

أما الشفرة، وهي العنصر أو العـامل السادس في ترسيمة الاتصال،فتتكوَّن " من نظــام العلامات وطريقة استخدامها بحيث يمكن للمرسل أن يصدر رسالة يفهمها المرسل

إليه.(و*) تفترض عمليتا وضع الشفرة وفك الشفرة أن يكون لطرفي الاتصال معرفة كافية بالشفرة نفسها ضمانًا لفعالية الرسائل المنقولة. ويخضع الاتصال الأدبي لهذا المبدأ العام، ولكنه يحمل عددًا من الخصائص المهمة المتعلقة بإنتاج الرسالة وتأويل معناها.. لهذا يجدر بنا تمييز مستويين في تحليل مسألة الشفرة: على المستوى الأول، وكما أشار الآن ري: يندرج الاتصال الأدبي في الإطار العام للاتصال اللغوي. وفي هذا الإطـار يستخدم الاتصال الأدبي الشفرة اللغوية من خلال قناتين رئيسيتين: قناة سمعية، كالحال في المسرح، وقناة بصرية كالحال في القراءة.... على المستوى الآخـر، يكشف الاتصال الأدبي عن ميزة (أخرى *)، لأنها لاتهدف إلى إنتاج رسالة تقتصر على المعنى الظاهر كحال الكلام النفعي أو العلمي..

هذه الطاقة على إنتاج الجمل المتعددة المعاني هي في صلب الأدب كما حدده فاليري عندما قال: إنه ليس في نهاية المطاف سوى توسيع وتطبيق لبعض خصائص اللغة. من هذه الخصائص نذكر الطاقة على إنتاج رسالة تشدد على شكل التعبير بقدر ماتشدد على الدلالة وأكثر، وتعني بما أسماه يا كوبسون بالوظيفة الشعرية.. الخاصية الثانية (وهي الطاقة الثانية*) هي الطاقة على إنتاج رسائل تعالج الشفرة التي تنتجها، فتشدد بذلك على الوظيفة الميتالغوية (وظيفة لغة الشرح). هذا ما نلاحظه، مثلا، في الكتب التعليمية أو العلمية... الخاصية الثالثة التي من شأنها إعطاء الجملة الأدبية طابع تعدد المعنى هي التضمين فالكلمات التي نستخدمها تحمل نظريًا، معنى أوليًا هو معناها التعييني الذي يحدده منطق المعجم.. وهذا التعيين يميزها من الكلمات الأخرى.. فالتضمين..معنى أو مجموعة معان إضافية تلتصق بالمعنى التعييني. وهذه العملية معقدة لأنها تتعلق بمقاصد المؤلف، وبالطريقة التي يتلقى بها القارئ الرسالة، وبالوضع التاريخي والاجتماعي الذي يعيش فيه طرفا الاتصال. وبعبارة أخرى، ليس للتضمينات معان نهائية...(فـ*) لايمكن حصر الجملة الأدبية في التعبير عن المعنى البسيط المحدد نهائيًا. فالشفرة اللغوية التي تتيح للكاتب إمكان التشديد على دلالة الرسالة وعلى شكلها، وعلى الشفرة التي سمحت بإنتاجها، تشكل بنفسها مصدرًا لتعدد المعاني، لأنه يصعب دائمًا أن نحدد بدقة ماهو الأهم في الرسالة.كما أن التضمينات التي تحملها الكلمات التي نستخدمها تعني هذا التعدد: فهي تشكل بما تحمله الكلمات التي نستخدمها معني هذا التعدد: فهي بما تحمله من قيم أخلاقية ودينية وسياسية واجتماعية وجمالية، شفرات إضافية تلتصق بالشفرة اللغوية الفعلية وتلفتنا إلى أن الكاتب والقارئ يقومان بعمل أدبي بحسب العصر الذي يعيشان فيه وموقع كل منهما في المجتمع..٢٣ .." .

ويعد مصطلح الشفرات Cods " أحد المفاهيم الأساسية في علم العلامات. والشفرات السيميوطيقية (أو العلامية).. أنظمة إجرائية تتكون من مجموعة من الأعراف المترابطة التي تحدد العلاقات المتبادلة بين الدوال والمدلولات في مجال معين. وتوفر الشفرات إطارًا تصوريًا تصبح العلامات فيه مفهومة، أي أنها أدوات تفسيرية تستخدمها الجماعات أو التجمعات التأويلية Interpretaive Communities. وتتسم بعض الشفرات بالوضوح إلى درجة كبيرة، في حين يتسم بعضها الآخر (الذي يطلق عليه جيرو اسم الهرمنيوطيقا أو الشفرات التأويلية) بإفساح المجال لتأويلات مختلفة، وقد توجد أيضًا شفرات فرعية (شفرات دفينة بترجمة محمد عناني) داخل حدود الشفرة، ومن ذلك ــ مثلا ــ الشفرات الفرعية الأسلوبية والشخصية (أو شفرات التفرد اللغوي idiolects - أي الاستخدام الفردي للغة بشكل خاص مختلف).. (فالتشفير Codification *) عملية تأريخية اجتماعية، تصبح من خلالها الأعراف أو التقاليد الخاصة بشفرة معينة (مثل التقاليد الخاصة

بأحد الأنواع الفنية أو الأدبية مثلا) تقاليد راسخة على صعيد واسع،.. (فالاتصال نفسه كإطـار عام يشتمل *)، من منظـور علم العلامات، على عملية تكوين شفرات النصوص، وحلها، أو فكها، في ضوء أعراف أو تقاليد الشفرات المناسبة (ياكبسون). ويعتبر التأكيد على الأهمية المركزية للشفرات في عملية الاتصال أحد الإسهامات المميزة لعلم العلامات، ويؤكد هذا الإسهام الطبيعة الاجتماعية لعملية الاتصال، وكذلك أهمية الأعراف أو التقاليد المشتركة في هذه العملية.. وبينما يهتم معظم علماء علم العلامات بدراسة عملية تكوين المعنى القابل للتوصيل، فإن بعض الباحثين في علم العلامات، يقومون أيضًـا بدراسة إمكانية وجود معنى حتى دون توافر قصد التوصيل، أو دون وجـود عناصر بشرية (أي واسطة إنسانية) فيما نفترض أنه علامة من العلامات ٢٤ .."

بمجيء الرقمية بمفهومها الشبكي (تحديدًا) تغيرت مفاهيم السياق بشكل نهائي وبات أو محسوم ؛ فتحول المفهوم ـ مفهوم السياق ـ مع إعصار الرقمية بشكل نهائي كما تحول مفهوم الشفرة أيضا بهذه الصيغة مع اندلاع الفضاء الرقمي الاجتماعي أو مابعد الاجتماعي، رغم مـاتمت الإشارة إليه من قبل من إهمـال دارسي التحولات الرقمية (للأسف) تحولات مفهومي السياق والشفرة تمـامًا وإن تعرضوا لبعض مقولاته الجزئية فإنهم يتناولونها بشكل عرضي داخل تحولات عناصر الاتصال الأخرى وربما التبس السياق عندهم وتحولاته بتحولات النص واللغة بشكل خاص، مما دعى هذه الدراسة إلى مناقشة تحولات هذين العنصرين النصيين المهمين والفاعليين، رغم شحة المصادر حولهما على مستوى الدراسات الغربية المبتكرة أو العربية المحايثة والمتأثرة أو التي قدمت جديدًا يخص سياق التحولات النصية عمـومـا.

ما لا يعتوره شك أن دراسات السياق غير الإليكتروني الرقمي سالفة الذكر (الحديثة منها والقديمة البلاغية والمنطقية) قد خطت بدراسات السياق خطوات فاعلة نحو السياق الرقمي والشفرة الرقمية غير أن إبداعها ذاك كان محصورًا داخل فضاءات الكتابة والنص المكتوب المرقوم أو سياق الصورة ومبادئ التواصل كما هي عند علماء ورواد الفكر التوصلي ونقاد عصر الصورة والسينما ونماذج الإعلام والاستهلاك مابعد الحداثيين ومابعد البنيويين.

يتصل السياق ماقبل الرقمي وكذلك الشفرة ماقبل الرقمية بالمكتوب والمرقون في حركته داخل اللغة بما هي كلمات وإشارات وحتى في لغة الصورة بصفتها وهيئتها/ هيئاتها الأيقونية (كنسية الأصل أو فلسفية منطقية)، أما مع الرقمية (مابعد الرقمية تجـوزًا) فالأمر أصبح جد مختلف، فالسياق بوصفه تتبع للعناصر التي يحقق معها وبها ومن خلالها النص سياقيته وموقفيته انحسرت حركته لسببين أولهما: أن اللغة بما هي كلمـات وأحرف وجمل ومقاطع وفقرات ونص كامل لم تعد تشكل سوى جزء يسير من النص، وثانيهما: انحسار مفهوم قصدية المؤلف إذ لم يعد ثمة غير القارئ وهو قارئ مختلف تماماً.

يتحرك النص أمام عين الممارس الرقمي (القارئ مجازا) وبين أصابعه وفق خطة هذا الأخير (الممارس) وليس وفق خطة الكاتب في ترتيبة لعناصر النص والتي تعد اللغة إحداها، فلاقيمة لترتيب المؤلف للعناصر ولاقيمة للترتيب الذي وضعه الكاتب أو النص أو المنشئ الرقمي الأول؛ إذ يبدأ الممارس رقميته أو نصه من النقطة التي يريد وبالتالي فلايملك الكاتب الأول فهرسا أو خارطة للنص، كما أن الممارس الرقمي سيبدأ ـ بلاشك ـ في كل لحظة يكتب فيها النص (يمارسه) من النقطة التي يريد، وربما يتجاوز البداية وفي الإطار التالي سيختار من إطارات أخرى ومناشط ومقترحات مختلفة، فلن يبقى أمامنا مجال للنظر للسياق في أحد جوانبه على أنه توال للعناصر التي تسبك النص وربما تحبكه أيضـًا. وكذلك الشان تمـامًا بالنسبة لسياق الموقف أو الحال أو المجريات على تباين ترجمات

المصطلح للعربية، فلكل نص أحداثه المستقلة والتي لاعلاقة لها بالأحداث المجترحة من قبل المؤلف الأصل، ومثل سياق التوالي المنوط به السبك سيبدأ الممارس من الحدث الذي يريد والفكرة التي يحبذ وهي بداية تختلف وستختلف مع كل مواجهة للنص من قبل الممارس الرقمي الأجد (الكارئ ـ القاتب) وبالتالي لن تكون هناك أهمية للأحداث المرسومة والمبتكرة والمنشأة من قبل من خلال المؤلف أو حتى الجهاز بوصفه كاتبا/ فاعلا/ شريكًا، فمع كل ممارسة سيبتكر الفاعل الأجد أحداثه وسياقاته الخاصة والمتحولة.

لن يجدي مع النص الرقمي تقسيم هاليداي لعناصر سياق الموقف إلى فعل الخطاب وأدوار الخطاب ولغة الخطاب ؛ إذ مع النص الرقمي ستنضوي هذا العناصر الثلاثة لسياق الحال أو الموقف تحت بند أوسع وأكثر حركة ودورًا وتغيرًا وهو فعل الخطاب، وهو فعل يختلف عنه في تعريف هاليداي لفعل الخطاب باعتباره العنصر الأول من عناصر سياق الحال، فهو عنصر في حالة استخدمنا مصطلح عنصر تجاوزا أوسع وأشد تحولا كما أنه منوط بالممارس الرقمي وحده وليس بالكاتب (النبع، الخالق الأول)، وحتى في حالة كان ذا علاقة بالكاتب فإن اشتباكه بالكاتب لن يكون اشتباكا بهذا الشكل المسبق والخامل في مصطلحه ومفهومه ككاتب، سيجعل الاشتباك به بوصفه قارئا أو ممارسًا ومتلقيًا متماسًا مع النص لأول مرة، كأنه لم يره ولم يمارسه من قبل، وهي ممارسة ستختلف مع كل شروع له في النص ومباحثته ومحاولة إعادة إنشائه. أما مصطلحا ديبوجراند ودريسلر " رصد الموقف"، "وإدارة الموقف" سالفا الذكر والإشارة إليهما فلم يعودا كما كانا بل انحسر مفهوم رصد الموقف ولم تبق غير إدارة الموقف التي أصبحت مع الرقمية إدارة المواقف المتعددة والمتباينة والمتنوعة والمتشعبة قبل ذلك.

كما تغيرت الشفرة/ الشفرات مع الرقمية بوصفها عنصرًا من عناصر الاتصال الستة، فأصبحت مبدأ أو مبادئ فاعلة ومتحركة تولد بمجرد ملامسة الممارس الرقمي لفعاليته الرقمية (النص ـ النصوص)، تولد معها الأعراف النصية والمعرفية خلال هذه اللحظة، فمع كل دخول للنص تنشأ شفرات جديدة مختلفة عن الشفرات التي اكتسبها الممارس الرقمي مع الممارسة السابقة أو الممارسات الماضية، دون أن يعني ذلك إغفال الأعراف السابقة الكامنة في ذهن الكائن البشري بوصفه ممارسًا أو الأعراف المبرمجة والمنشأة دخل جهاز الكمبيوتر بوصفه شريكًا، بالموازاة مع اعراف الحياة الشبكية على فضاءات التواصل الاجتماعية والحيوات الرقمية الجديدة، وكذلك الأعراف المتحولة المندمجة مع حركة البرنامج الإليكتروني (برنامج الكتابة كالمسرد مثلا) بوصف هذه البرامج نوعيات أو فصائل متباينة من الفاعل الجديد أو الفاعلين الجدد.

جاءت الرقمية إذن ــ ما نود طرحه في نهاية الدراسة ــ بشفراتها الجديدة وأعرافها الجديدة المتماسة مع طبيعة الأزمنة اللامتناهية الشبكية الجديدة، والمستمدة من حركات هذه العوالم (حركتها) في آفاق النصوص الرقمية والفعاليات الشبكية، ومحاولاتها في إعادة إنتاج النصوص، أو إنتاج نصوص جديدة عاصفة ــ رغم مايظهر للمتابع هنا من شعرية لفظة عاصفة ــ كما جاءت بمفاهيم جديدة للسياق/ السياقات المعاصرة في مدها الرقمي وزخمها اللامتناهي الشبكي، لتخلق سياقاتها ومواقفها الخاصة وأنشطتها، دون إغفال أو تجاهل لمايتعلق بالذهن البشري من مفاهيم عاش معها وتداخل بها وأنتج من خلالها يومياته وأفعاله وعلاقاته منذ نشأته على وجه الأرض وتماسه الأول مع الطبيعة وحالاتها وتغيراتها ومفاجأتها للإنسان مع التأكيد على أن الذهن البشري في ممارسته النصية والإبداعية لم يعد وحده على أرصفة وتباينات المتون الرقمية الجديدة، أو اللامتون في اصطلاح أشد فعلية أو أكثر ممارساتية. أصبح يعمل ويمارس رقميته بصحبة شركائه الرقميين الآخرين: جهاز

الكمبيوتر(العقل الحاسوبي بشكل عام)، البرنامج الإليكتروني، الفضاء الشبكي (فعاليات الإنترنيت ومواقع التواصل وبرامجها العامة والخاصة وتطوراتها ونموها)، المبرمجون الرقميون والمهندسون المتفاعلون مع النص الرقمي ممن يمتلكون استشعارًا، واستشرافًا للمستقبل النصي/ النصوصي، والحيوات القادمة المختلفة، وإيمانًا بإمكان تغير المجال الحيوي للكائنات البشرية في إقاماتها على الأرض، في تناغم والتباس هذا المجال الحيوي بأبعاده المنظورة وغير المنظورة وبالمجال البيولوجي خاصة.

خاتمة البحث:

يتبين لنا من عرض و تحليل وتتبع تحول مفاهيم الاتصال بشكل عام مع ميلاد الفكر الاتصالي منذ ستينيات القرن الماضي وبعد أن أصبح الوسيط هو الرسالة عند ما كلوهان ومتابعيه الكثر، وكذلك تتبع وتحليل تحول مفهومي السياق والشفرة منذ الصيغ الأولى للحديث عنهما مع البلاغيات وعلاقة كل ذلك بأفكار المقام وما يلائمه، وأنواع العلاقات المنطقية بين الأجزاء وضرورة ورود الأثر والمؤثر لتستقيم النصوص، ويتبين كذلك من تحول مفاهيم السياق، وصولا إلى سياق النص وسياق الموقف والحال كما هو عند المدرسة اللغوية الاجتماعية، ثم التحول الذي صار إليه السياق الذي تحول إلى الموقفية بصيرورته واحدًا من عناصر سبعة لا يستقيم النص بدونها مع علماء لغة النص المتأخرين (ديبوجراند ودريسلر تحديدًا)، وكذلك الشأن بالنسبة للشفرة، يتبين من ذلك أن هذين المفهومين الاتصاليين من المفاهيم السائلة والمتحولة عبر المدارس والاتجاهات البلاغية والنصية واللغوية، قبل مجيء الرقمية. أما بعد مجيء الرقمية فقد تحول هذان المفهومان تحولًا تامًا أصبحا معاه ــ بالكاد ــ يشار إليهما بنفس الصيغة اللغوية (سياق ــ شفرة)... وأصبح استعمالهما يجري مجرى ماكان لأغراض وصفية وتحليلة تسلكها الدراسات الأكاديمية.

بمجئ الرقمية اتجهت معاني السياق (فيما لو أبقينا الهيئة العامة للمعنى) صوب نصوصية أخرى لا علاقة لها باللغة في شكلها الكلاسيكي أو اليومي المكتوب أو المنطوق أو العلمي بل صارت اللغة بهذا المعنى طبقة يسيرة من طبقات عدة تتحرك بها النصوص الرقمية إلى جانب وسائط عدة كالصوت والصورة واللون والحركة، إلى جانب سيطرة الأبعاد البرامجية على الكيانات النصية الإبداعية والنقدية النظرية. كما أصبح الفاعل النص المنوط به السياق والشفرة، بمعية المشاركين الآخرين في العملية التواصلية، ومن ثمَّ النصية، غير مقتصر على الفاعل والمستعمل والمستخدم الإنساني ليغدو فاعلا متنوعاً ومتعددًا من الأرواح الإنسانية وأجهزة الكمبيوتر والوسائط المتنوعة، والبرامج المختلفة.

Abstract

Digitalization: contextual and code transformations

By Hani Jazem Moqbel Thabet

This study concerns with the transformations made by the digital rise in the two communication elements known as context and code. The digital presence, especially after the widespread of the Internet led to the fall of the previous models and visions after the emergence of electronic literature and its connection to the Internet.

This study used more than one trans-methodical mechanisms of the known methods, including mechanisms of analysis, comparison, description and historical tracing, while looking at a number of digital texts published on the network.

The study concluded number of results, including the following: inconsistency between the fragmented, unstable and rapidly evolving concepts of digital age and the concepts of context and code before the advent of digital literature and thought where the language of the texts was confined to the written form, which is no longer the case in the digital network since the language in its familiar written mode does not constitute more than twenty percent of the digital texts, with the presence of new competing elements and components.

الهوامش:

٢- ميج، بيرنار، الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة، ترجمة: أحمد القصوار، دار توبقال للنشر، المغرب الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١١، صـ ١٥، ١٦.

٣- المرجع السابق، صـ ١٦.

٤ - نفسه صـ ١٦، ١٧.

٥ - فضل، صلاح ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، صـ٢٥٦، ٢٥٧.

٦ - المرجع السابق، صـ٢٥٧، ٢٥٨.

٧ - مابين القوسين تأكيد من الباحث.

٨ - صلاح فضل، نظرية البنائية، المرجع السابق، صـ٢٥٧.

٩- النص التشعبي: منظورات أدبية وفلسفية وتربوية وسياسية، تررجمة محمد أسليم، على الرابط: http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=227 تاريخ التصفح: ٢٣/١١/ ٢٠١٦.

١٠- فيليب بوطـز: الأدب الرقمي: تَحوُّلٌ للأدب / ترجمة: محمد. أسليم: http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=226

١١- حسـان، تمام، قرينة السياق، في:(الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م، صـ٣٧٥.

١٢- R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. 213 Longman's Green and Co LTD. Second impression 1969. ،Linguistics Library.

١٣ ــ عمر، أحمد مختار:علم الدلالة،عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، صـ٦٨.

١٤صالح، محمد سالم، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، بحث منشور إلكترونيًا، صـ٣، ٤، على الرابط:

https://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=5&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwiru5Siu4vQAhWMVxoKHRhpCZ8QFgg6

MAQ&url=http%3A%2F%2Fwww.mohamedrabeea.com%2Fbooks%2Fbook1_596.doc&usg=AFQjCNFvGmM4V5lN6aew-xBqCRJ_Geiu4w&bv
١٥- أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر مكتبة الشباب، القاهرة الطبعة العاشرة، ١٩٨٦م، صـ٦٦، ٦٧، ٦٢.
١٦ - السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، صـ٣١١، ٣١٣.
١٧- شبل، عزة، علم لغة النص:النظرية والتطبيق، مكتبة الأداب القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ صـ٨.
١٨- بالمر، (ف. ر) علم الدلالة.. إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، طـ ١٩٩٥ .،صـ ٧٧.
١٩- صالح، محمد سالم، مرجع سابق، نفسه.
٢٠- المرجع السابق نفسه، صـ٦.
٢١- إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، صـ٢٠٩.
٢٢- نفسه، صـ ٢٨١، وما بعدها.
٢٣- فريس إيمانويل،و موراليس، برنار، قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، ترجمة: د. لطيف زيتوني،، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٠، فبراير ٢٠٠٤ ، صـ، ٤٨، ٤٩، ٥٠.
اضطر الباحث إلى استخدام اقتباس طويل عند هذه الجزئية من الدراسة.
-٢٤- تشاندلر، دانيال، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ترجمة: أ. د. شاكر عبدالحميد، مراجعة: أ.د. نهاد صليحة، تصدير: أ. د. فوزي فهمي، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية (٣)، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، صـ ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤.

أولا: المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

١ــ أولمان (ستيفن) دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر مكتبة الشباب، القاهرة الطبعة العاشرة، ١٩٨٦م.
٢- بالمر، (ف. ر) علم الدلالة.. إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طـ ١٩٩٥.
٣ــ تشاندلر (دانيال)، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ترجمة: أ. د. شاكر عبدالحميد، مراجعة: أ.د. نهاد صليحة، تصدير: أ. د. فوزي فهمي، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية (٣)، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٤ ــ السعران (محمود)، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٥ ــ - شبل،(عزة) علم لغة النص:النظرية والتطبيق، مكتبة الأداب القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
٦ ــ عمر (أحمد مختار):علم الدلالة،عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م،.
٧- أبو غزالة، (إلهـأم)،و أحمد (علي خليل)، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
٨ــ - فريس (إيمانويل)،و موراليس، (برنار)، قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، ترجمة: د. لطيف زيتوني،، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٠، فبراير ٢٠٠٤
٩ ــ فضل (صلاح)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨
١٠ ــ ميبج، (بيرنار)، الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة، ترجمة: أحمد القصوار، دار توبقال للنشر، المغرب الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١١،.

:ثانيـاً: المراجع الأجنبية:

R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. 213 Longman's Linguistics Library.، Green and Co LTD. Second impression 1969.

ثالثاً: الأبحاث والمقالات المنشورة فى المجلات والكتب والمواقع الإلكترونية (العربية والمترجمة):

١ ــ بوظر (فيليب): الأدب الرقمي: تَحوّلٌ للأدب/ ترجمة: محمد. أسليم: http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=226

٢ ــ حسـان،(تمام)، قرينة السياق، في:(الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

٣ ـــ صالح (محمد سالم)، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، بحث منشور إلكترونيًا، صـ٣، ٤، على الرابط:
https://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=5&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwiru5Siu4vQAhWMVxoKHRhpCZ8QFgg6MAQ&url=http%3A%2F%2Fwww.mohamedrabeea.com%2Fbooks%2Fbook1_596.doc&usg=AFQjCNFvGmM4V5lN6aew-xBqCRJ_Geiu4w&bv

٤ ــ النص التشعبي: منظورات أدبية وفلسفية وتربوية وسياسية، ترجمة محمد أسليم،على:
http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=227